

# الوازعين الديني والآديبي

أيهما يجب الاعتد به

قال محدثي . إن نشر الاتحاد جريمة كبيرة

قلت — وكيف كان ذلك ؟

قال — إذالم يكن هناك راءع ديني فعلى الدنيا السلام . اذتعمها الفوضى والمذابح

قلت — وكيف عاش بعض الناس اذن قبل انتشار الاسلام والمسيحية

واليهودية وغيرها من الاديان

قال — كان لهم اديان سابقة

قلت — ما هو الدين ؟

قال — هو على الاقل الاعتراف بوجود خالق

قلت — وهل كل الاديان تترف بوجود خالق ؟

قال — كلا . ولكن لكل منها نظام أخلاقي

قلت — فاذن يصح لى أن أستنتج بان أساس الدين ليس واحدا بل هو قائم

فى اعتقادك على الاخلاق أولا ثم على فكرة وجود الله أيضا ( وذلك فى الغالب )

قال أصبت .

قلت — وانى أضيف الى ذلك أساساً ثالثاً للاديان هو علم الدين أو فلسفة الدين

أو اللاهوت أو الخزعبلات ، فيمكننا اذن أن نقول إن الدين هو عبارة عن

١ — التسليم بوجود الموجد الاول

٢ — وجوب اتباع نظام أخلاقي

٣ — حشو

قال — وهل تشك فى وجود الله ؟ وهل يمكن أن تتصور موجوداً

بدون واجد ؟

قلت — البينة على من ادعى . وأما تصورى امكان وجود واجد لكل

موجود فهو بالاستنتاج ان يقف عند حد فبدلاً من أن تقول ان الله خلق العالم

مثلاً ثم تضرب من يسألك عن خلق الله ، اختصر الطريق واضرب من يسألك عن خالق العالم

قال — ولكن الكرسي له صانع ، والنزل له صانع ، أفليس من الجاهل أن تقول إن هذا العالم الفخيم العظيم لا صانع له ؟

قلت — أجل . الكرسي له صانع ( صنعه من مواد أولية ) والنزل له صانع وليس صانعاً واحداً وقد استعملوا في أشادته مواداً أولية أيضاً بالقياس على ما سبق يكون استنتاجي منطقياً لو قلت إن صانع العالم لا شك كانوا كثيرون العدد جداً وبالطبع صنفوه من مواد أولية . هل يعجبك هذا الاستنتاج الذي يتهكم بالشرك ويقلب نظريتك القائلة بأن الله قول للأرض كوني فكانت رأساً على عقب ؟

قال — ولكن ألا ترى أن فكرة وجود الله جذابة جميلة ؟ أليست أحسن من فكرة النشوء والارتقاء

قلت — لا بأس بها . ولكني لا أرى وجهاً للتفضيل بينها وبين فكرة النشوء . فإذا ما اقتنعت بصحة الفكرة الثانية فلا تخف . فإن باب الخيال أمامك لا يوصد . وتصوير الله على صورتك لا تعارض مع فكرة التطور مطاقاً

قال — إذن تسلم معي بأن الأحسن لنا التسليم بوجود الله

قلت — الأحسن ؟ لماذا ؟ إن فكرة وجود الله خيال جميل لا بأس به ولكن يجب أن لا تستنتج من ذلك أنه أثبت وجوده لنا بالفعل  
قال — إذن أنت لا تسلم بأنه قادر وأنه .....

قلت — ألا تظن الأجدر بنا أن نناقش البرنامج نقطة بعد أخرى بالتسلسل . فإنتقطة الثانية المطلوب بحثها هي الأخلاق فهل تعتقد أن الدين هو الأخلاق ؟  
قال — بالطبع الدين هو الذي يفرق بين الخير والشر ويأمرك باتباع الأول وترك الآخر

قلت — وهل الأخلاق دائماً جامدة . أعني هل فكرة الأخلاق واحدة عند كافة الأمم في كافة الأزمان ؟ ومثل ذلك . كان السلف يتزوجون بأربع نساء

ويحفظون لذواتهم بقطيع من الحايا دون أن يشعر أحدهم بأنه يفعل منكراً. فهل إذا حزت أنا عشرين امرأة في الوقت الحاضر لأتحكم على بالاستهتار والاستسلام للملاذ الحيوانية؟

قال — ولكن هذا مثل من الفرعيات . فلنتكلم عن موضوع أساسي مثل القتل أو السرقة

قلت — انتظر قليلاً . كان الواجب عليك أن تقول لي رداً على سؤالى السابق. ان عقليّة الوسط والنظر وف لم تظهرها سابقاً فكرة التعدد والتسرى بما يظهرها به لنا الوسط والعقليّة الحاليّتين . ألا توافق على ذلك؟

قال — دون شك . فإن للعقليّة والوسط دخل كبير في الموضوع قلت — اذن فلاخلاق ليست ثابتة بل متغيرة . فلنتقل الآن الى السرقة فهل تظن أن الناس كانوا يسرقون دائماً بمناسبة و بغير مناسبة قبل أن ينزل عليهم الرسل؟

قال — ولكن العرب كانوا يمدون بناتهم

قلت — اسمع يا صديقي . اننى لو سأمت بمدك ارضاء لماطرك بان قبل نزول النبي محمدا كان العرب يمدون بناتهم ( دائماً ) لما أمكنهم التناسل . فمن أين كانوا يأتون بالنساء اللاتي كانوا يتزوجون بهن ؟ ربما كن من الاسيرات . فهل في امكانك ذلك ؟ وهل كانت غارات العرب قبل الاسلام تقع بين العرب و بين الاعاجم ؟ أم بين قبائل العرب و بعضها ؟ اصغ إلى جيداً يا صديقي . ان جرائم وأد البنات كانت فردية تماماً يرتكبها بعض الذين ينجشون على أعراضهم ، فكما كان الرجل يفكر بأن ابنته سوف يمتدحها رجل كان يشتهر . وفكرة التناسل احتقرها العرب كما احتقرها المعجم ولا يزال يحتقرها بعض الناس الفطريين الذين يجدون غضاضة في المساعدة على التناسل بطريقة سلبية ؛ ألا ترى مثلاً بعض رجال العصر الحالي في مصر يوقفون ريع أموالهم على بناتهم مادم من غير متزوجات ؛ وفي هذا ارهاق لمن ؛ فهل اذا نهبت الحكومة الى وجوب ازالة هذا الحيف بعد حملة الجرائد والبرلمان عليها فسنت قانوناً لحماية بن يصح لنا الاستنتاج بان المصريين في

القرن العشرين كانوا يجبرون بناتهم على الترهيب والافيجرموهن من الاستفادة من الميراث ؟

ان ايجاد تشريع مخصوص لا يتم عفواً بل يوجد فقط عند ما يشعر الناس كافة بان النظام السارى سيؤدى الى افناء الجماعة . ولذلك نهب الجمعية للدفاع عن كيانها مسوقة بالغريرة . ولماذا لم يحدث الوأد فى الامبراطورية الرومانية مثلاً ؟ أليس لان وجهة النظر كانت تخالف وجهة نظر العرب على خط مستقيم فكان لدى الرومان ميل الى تقديس الجمال ؟

لا يمكنك أن تتصور وجود وسط متحضر تقتل بعضه البعض . لأنه اذا وجد هذا الوسط فى زمن من الازمان لكانت النتيجة الغير مشكوك فيها هو اندثار ذلك الوسط وانك ولا شك تسلم على بأن قوى الناس متفاوتة . فالهيمنة تكون دائماً للاقوى . فاذا مات وسط فرد وضع الانظمة لا تباعه ودون شك يكون من صالحه نشر السلام والألفة بين الناس على قدر الامكان حتى يتيسر لهم العمل على خدمته دون شوشرة

وهل كل انسان ميل الى سفك الدماء ؟ أليس هذا الميل منحصر فى طبقة مخصوصة من الناس فقط هى المشبعة بروح المقت أو المطالبة للثأر أو التى بعثها شىء من الخلل ؟

كانت العرب قبائل صغيرة تقوم بالغارات على بعضها تقتل وتنهب فهل تغير هذا الآن عن قبل ؟ أليست الحرب الكبرى مثل مجسم من تلك الغارات . ثم فيها القتل والنهب بنظام أوسع يختلف فى شدته ومدته باختلاف الاستعداد و باختلاف العقلية ؟

اذن أظن أن من حق مطالبتك بالتسليم بان الاخلاق دائمة التغير ، وأن (الدين) يأتى فيعزز الحسن الذى وافق الجميع على صلاحيته من قبل أن يكون (ديناً) وكذلك يعزز نظرية القائلين بوجوب تغيير ما رأوا فيه نقصاً أو ضرراً . وبالطبع يساعد قدم الفكرة الجديدة لأن لهم من ورثها مغنماً فى حين يناهضها آخرون يشعرون بمزايا النظام المتبع الذى عمل الدين على متابعة الرأى المخالف له . والحسن إما أن يكون قد تقرر حسنه بالاختبار ، والدافع على هذا التقرير هو

الغريزة كالسرقة والقتل والزنا ؛ وأما أن يكون قد تقرر على أساس فكرة خيالية طارئة. وهذه تكون عرضة للتغيير والتبديل الى أن تلائم العقلية والوسط. أو الى أن يذبذبا فتصبح في خبر كان. وفي هذه الحالة أما أن يخفف المجتمع من غلوائه فيحذفها من قائمته الدينية أو الاخلاقية المختارة أو ينتهك الناس حرمة ذلك مدفوعين بدوافع لا قبل لهم بها. مثلا فكرة تنظيم العائلة . ف هو في اعتقادي نتيج عن أن النظم الاقتصادية الحالية تجبرنا على تغيير أفكارنا فيها فوالحالة هذه لن يتيسر لنا في المستقبل تنظيم العائلة على أساس أن الرجل هو ربها وعائلها. وعلى أن المرأة يجب أن تكون عالة عليه تأمر بأمره. فالانظمة الاقتصادية الحديثة تدفع المرأة للتحرر اقتصاديا عن الرجل. ويستتبع ذلك بالطبع انه مادام لا يهيمن على مرافقها الحيوية فان يكون لها سيدا مطاعا

بقي أن تسألني الآن عن النقطة الثالثة وهي علم الدين أو الفلسفة أو اللاهوت أو الخزعبلات. فقد قلت ان الله قادر و ربما تقول انه يسمع ويقضى و و  
قال — أجل. فما رأيك؟

قلت — انني سلمت معك جدلا بأن وجود موجد أول فكرة لا بأس بها ومعنى هذا أنها لم تثبت و لكن لا مانع من التمسك بها حتى يثبت ما ينفيها فن أن لك أن تصف ذلك ( المجهول العظيم ) بصفات كذا وكذا

قال — وما قولك اذا قلت لك ان وصفى له بذلك يتم عن طريق الاستنتاج والاقتناع ليس الا . فما الذي يمنعك مثلا أن تقول ان هذه القوة قادرة ومحيطه بكل شيء ؟

قلت — لا مانع من ذلك . ولكنك تقول ايضا انها تقدر وانها تحرص على اتباع وجهة نظر اخلاقية مخصوصة وعلى عدم اتباع وجهة أخرى أليس كذلك ؟  
قال — بالطبع أقول ذلك لاني أرى أن الله يرغب الناس في اتباع ما اتفق الرأي العام على وجوب نشره الآن على حد قولك فائدة عامة

قلت — ولكن لا يتسنى ذلك يا صديقي لان الاخلاق دأمة التطور فما يتفق الرأي العام على أنه حسن في وقت من الاوقات يتفق الرأي العام على سوءه في

وقت آخر ، والذي ترى أمة من الأمم فيه الخير تراه أمة أخرى عين الشر . فما قولك دام فضلك في فكرة تعدد الزوجات التي حرض عليها القرآن وقت ان كان التعداد لازماً للعرب . ذلك حين كان عدد النساء عندهم يزيد زيادة كبيرة على عدد الرجال . كان الرجال قديماً كانوا أكثر تعرضاً للموت مما هم عليه الآن . ولذلك كانت نساء العرب أكثر عدداً من رجالهم . أضف اليهن السراري اللاتي كان يقتل الجيش الظافر رجالهن وآباءهن ويرجع بهن غنيمة باردة . فهل كان يعقل أن يبقين الناس دون فائدة ؟ أم كان يستولوهن رجالاً ينضمون الى قوات القبيلة المقاتلة ؟ فهل يمكن تطبيق هذه النظرية التي كانت قديماً عمالة على أى قطر في الوقت الحاضر . مع العلم بأن عدد الجنسين يكاد يتساوى ؟ وان فكرة الاستعباد أو التسرى قد عدت الآن غير انسانية . وخصوصاً بعد أن ظهر للناس أن قتل المغلوب ليس من الشهامة في شيء ؟

قال — ولكنك تهم القرآن بما لم يقله فهو لم يقرر حق التعدد بل قيده بالعدل

قلت — أما إنه لم يقرر حق التعدد فهذا كلام لا أساس له من الصحة . فقد ذكر « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » . وهذا اطلاق قيده بعد ذلك بقوله « وان خفتم أن لا تعدلوا فواحدة » « ولن تعدلوا » فالتقييد اذن فرعى للاطلاق والا فلم يكن هناك داع للاطلاق بالمرّة . ولكن النص قد وضع بصورة أخرى مثلاً وبما أنه من المستحيل عليكم أن تعدلوا بين النساء فاقصروا على زوج واحدة واذا رجعنا الى التاريخ . نجد النبي والصحابه وغيرهم كانوا يتخذون من النساء مثنى وثلاث ورباع . يضاف الى ما سبق « أو ما ملكت ايمانهم » افليس من المعتول اذن أن « ولن تعدلوا » هذه اذا كن معناها نفى العدل بتاتا ، الامر الذي يستوى أمامه كل البشر ، لما أقدم عليه الذين كانوا في صدر الاسلام ؟ فاذا كان للظروف دخل في الموضوع لقدرت هذه الظروف بتقدير كل شخص في كل وقت . ثم لماذا قصر عدد الزوجات بأربعة ولم يحسم ؟ وذلك رداً على بعض الناس الذين يدعون بأن البلاغة تقتضى التصريح بمعجز ؟ افليس معنى التحديد بأربعة هو وقف

النزاع عند حد؟ وما معنى العدل؟ اعتقد أن العدل بين الزوجات في وسط  
الاعراب تنحصر في حقوق الزوجية الطبيعية أي كان يجب على الرجل تقسيم  
وقته بين نسائه تقسيماً عادلاً. أظنك الآن وقفت مثلي موقفاً تتجاوز بك فيه الحيرة  
بين الجزم تارة والدينية أخرى؟

قال — وما قولك في القضاء والقدر

قلت — ومن أين وقفت على أن الله يقضى ويقدر بالمعنى الذي تذكره؟ فهل  
يقدر على شخص الشقاء؟ هو اذن ليس بعادل؟ وهل يقضى على آخر بالكفر  
والالحاد. فاذن يعاقبه على أمر لم يتبعه بمطلق ارادته بل كان مسوقاً اليه جبراً؟ وإذا  
فرض انني كفرت بالله اجتهداً وبحسن نية فلماذا يحشرنى في النار حشراً لمدة كما  
يقولون لا نهاية لها؟ ان المحاكم التي تكون من البشر ترتكن عن اصدار أحكامها على  
ما يسمونه سبق الاصرار وعلى مركز وعقايمة الشخص. وكذلك على الدوافع التي  
تدفعه الى ارتكاب الجريمة. ولا شك أن المحكمة تقدر حسن النية حق قدرها قبل  
اصدار الحكم

قال — ولكن الشرع يقول .....

قلت — الشرع ومن أراكه ساقطاً من السماء. عندك سلسلة من الادعاءات  
مرتبطة ببعضها رابطاً متيناً. فإذا حاولت الاستفهام عن أحداها أتوك بالبرهان  
من نفس السلسلة فالله. موجود لأن ذلك مذكور في الكتب المقدسة. والكتب  
مقدسة لان فيها ما يفيد أنها منزلة من عند الله فالموضوع كله كالحلقة المفرغة يجب  
أن تأخذها كلها او تتركها كلها وإذا أخذتها على علامتها فلا يمكنك انتقاد مركز  
الضعف منها ولو كان غير معقول تماماً لك

والذي يزيد الطين بلة. هو انهم يعتمدون في التفسير على أساس ما قاله  
المتقدمون. أولئك الجهلة قليلوا الاختبار المنحطون عقلاً وأخلاقاً عما نحن  
عليه اليوم.

قال — وهل تظن أن الوازع الادبي كفيل بالحلول محل الوازع الديني؟

قلت — ومن قال لك أن الوازع الديني قد أفلح في صد الشر من أن يحدث؟

فالشركان موجوداً قبل الأديان وكان موجوداً في عهد الأديان ( والبرهان على ذلك تحريم الأديان اقترافه على متبعيها ) ولا يزال الشر موجوداً في وقتنا الحاضر؟ ولكنه بالطبع دائم التغير ومعناه دائماً يتطور. فينتابه العجز والزيادة . أليس أول ما يخيف الإنسان إذا أقدم على قتل رفيقه هو فكرة حبل المشنقة أو انتقام عائلة القاتل؟ وهل إذا قتل الإنسان شخصاً وهو ثائر يكون هناك مجال للقول أنه تغاضى عن أوامر الدين. أو لم يهتم بالقانون الوضعي في حين أنه يكون قد قتل في حالة شبه جنونية

والسرقة هل لها معنى محدود؟ أليس للرجل الذي يريد أن يعمل من أجل العيش ولا يجد من يعطيه عملاً أحق بأن يعيش كأحد العجماوات على الأقل. فهل يصلح أي رادع مهما كانت قوته في تفهيم هذا الشخص المشرف على الموت أن الواجب عليه أن يموت ذلك كلب على قارعة الطريق بينما غيره يأكل أمامه حتى التخمة؟

وهلا تظن أن الاشرف لنا كبشر أن ننظر الى الحقيقة مجردة، فنتعلم أن نقيم تعاليمنا على أساس تبادل المنفعة بدلاً من اشاداتها على أساس من الخوف إذا ظهر للمجرم دون سبق اصرار. لا أثر لهذا الأساس المفرع من الصحة . والركن الذي نعتمد عليه هو الاخلاق. مثلاً الرجل منا قد يرى شخصاً يرتكب جرماً معيناً ثم يجده ناجحاً في حياته. أليس معنى هذا أن الله لا ينتقم من المسيء بل يحسن اليه سكت مناظري قليلاً. ثم قال بعد ذلك ولكن يجب أن يكون لدينا ايمان يخفف عنا مشقة الحياة

قلت — لك أن تعتقد ماشئت وأن تستسلم الى القدر قدر ماشئت، وأن تصرح بأفكارك لمن حولك بأية طريقة تشاء. وإنما النصحاء فقط أن لا تضطهد الذين ينظرون الى الحياة بمنظار يختلف عن منظارك. فقد يكونون أرق منك فهماً وإدراكاً.

بندلي البيالوني

ساووا باولو